صحافة ..
وصحفيون

الفصل الثالث

ماذا حدث للصحافة في مصر؟

obeikandl.com

* عندما يطالب صحفي بضربنا بيد من حديد!

صحفي في ثوب جنرال فاشي

كيف نفسر شعور كاتب مقال في صحيفة قومية يعبر عن سخطه العارم إزاء غضب المصريين الجماعي وضيق بقية الصحف ووسائل الإعلام من الموقف الرسمي بشأن التصدي لمذبحة الأسرى من الجنود المصريين في سيناء بعد انتهاء حرب ١٩٧٦؟

كاتب المقال يقول في وصف رد الفعل المصري الجماعي أنها «الضجة المفتعلة المثارة حول واقعة بعض الأسرى المصريين في حرب ١٩٦٧!» . ويضيف - وهو يعرب عن الأسف الشديد - أن هذه الضجة ليست سوى «محاولات رخيصة لإعاقة دور مصر في عملية السلام وجرها إلى معارك جانبية تتهم فيها بالخصومة والعداء، وليست وسيطًا يسعى لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة !!» .

.. بل إن كاتب المقال اعتبر أن الذين يثيرون قضية الأسرى يعبرون عن «نعرات الوطنية الزائفة» ويستخدمون «لغة الشجب والإدانة والتهديد والوعيد!» .

لقد ترك كاتب المقال موضوع المذبحة لكي يوجه هجومه إلى الذين تحدثوا عنها (!) ولكي يطعن في وطنيتهم!

ورغم أنه يعترف في مقاله بأنه سبق إثارة هذه القضية من قبل ، إلا أنه لم يشرح لنا السبب في أن هذه القضية «التي أثيرت من قبل» لم تجد حلاً حتى الآن .. يرد الحقوق لأصحابها .

وما زال كاتب المقال يعدنا بـ«القنوات القانونية للحصول على حق هؤلاء الشهداء» .

حسنًا .. لقد انتظرنا القنوات القانونية لسنوات طويلة منذ أثيرت هذه القضية في السابق .. ولم يحدث أي شيء . ولم نعرف شيئًا عن نتائج مساعيها .

أكثر من ذلك .. أن كاتب المقال - ورغم أن القضية أثيرت من قبل - يطرح تحفظًا هامًا وهو .. «.. إذا ثبتت بالفعل صحة الاتهامات!!» . ولا أعرف متى تثبت صحة الاتهامات .. بعد أن تطوع إسرائيليون بتقديم أدلة الاتهام في شهادات صريحة وفيلم وربما في لحظة صحوة ضمير يطرحون فيها أسئلة حول ما إذا كان قتل أسرى مصريين غير مسلحين ، بعد انتهاء الحرب ، له ما يبرره .

والملاحظ أن كاتب المقال يتحفظ في كل مرة يرد فيها ذكر المذبحة لتذكيرنا بأن الوقائع قد لا تكون صحيحة ، لعل الإحساس يتسرب إلى القارئ بأن المذبحة .. ربما لم تحدث أصلاً (!) ورغم أن عادة البعض من الصحفيين في بلادنا هي تطبيق قاعدة أن المتهم مذنب إلى أن تثبت براءته (كما حدث حتى في حالة الإعلامية المعروفة هالة سرحان) . غير أنه في حالة إسرائيل ومجرمي الحرب ظهر أن المتهم قد يكون بريئًا رغم ثبوت إدانته! والوقائع لا تزال من وجهة نظر البعض «تمثل اتهامات حتى الآن (!) .

***

أغرب الأشياء أننا نعرف من كاتب المقال أن المستفيد من إثارة «تلك القضية»

هي ... إسرائيل!! لماذا؟ لأنه : «لماذا تثار هذه القضية الآن بالتحديد؟!» . هذا هو السؤال المطروح من جانب كاتب المقال ، فهو يرى أن هناك شيئًا ما أو دوافع خفية معينة وراء قيام إسرائيل بإذاعة الشريط التليفزيوني وكل الأخبار التي تناولتها الصحف الإسرائيلية حول تلك الجريمة! .

الدوافع التي يذكرها كاتب المقال تبدو أقرب إلى الدعابات السوداء أو الهزل في موضع الجد . فإسرائيل تثير هذه القضية الآن - في رأيه - لأن هناك ما يؤرقها ، وهو «الجهود الحثيثة التي تقوم بها مصر «لحماية الأمن في منطقة الخليج» ، ومساعي مصر المستمرة «لإزالة الهاجس الذي يقلق دول المنطقة بسبب تنامي الدور الإيراني!!» ليس هذا فقط .. وإنما حرصت إسرائيل على تفجير قضية مذبحة الأسرى «العرقلة جهود مصر لإعادة مسارات التفاوض مع الجانب السوري .. ووساطة مصر لحل المشكلة الفلسطينية .. وتحقيق الوفاق بين السلطة الفلسطينية وحكومة حماس ، وتقريب وجهات نظر الفرقاء في لبنان ، ومساعي مصر المستمرة للحفاظ على وحدة وسيادة العراق !!!» .

***

وأعترف أنني لم أكن على يقين مما إذا كان كاتب المقال يسخر من الحكومة أم يعني ما يقول ، فالمساعي الحثيثة وكل الجهود والوساطات ، التي يتحدث عنها ، لم تسفر عن شيء ولن تحقق أي شيء ، لأن واشنطن هي صاحبة القرار في أمور المنطقة الآن .

ونحن لم نستطع منع أمريكا من غزو واحتلال العراق ومن اتخاذ قرار بأن تشن إسرائيل حربًا على لبنان . ولم نستطع تحريك القضية الفلسطينية خطوة واحدة إلى الأمام منذ سنوات طويلة .

ومع ذلك فإن الغضب المصري والعربي بسبب مذبحة الأسرى يعبر ، في رأيه ، عن «محاولات لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء» و«النيل من إنجازات مصر!!» .

ولم نعرف كيف يؤدي ظهور وقائع محددة وقاطعة حول مذبحة الأسرى إلى «النيل من إنجازات مصر؟» هل يقصد أنه إذا غضبت مصر الرسمية ـ كما غضب الشعب والأمة العربية كلها ـ فإن ذلك سيثير الضيق لدى إسرائيل وأمريكا ، مما يؤدي إلى عدم ممارسة مصر لأدوارها المذكورة في المقال المشار إليه وإلى نسف «إنجازاتها ؟!» .

***

كاتب المقال يذهب إلى أبعد من ذلك ويصل إلى دائرة اللامعقول .

فالغضب الشعبي المصري سوف .. يحرمنا من «تجربة ثرية في مجال الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي» ، ومن «آفاق جديدة من التطور والتحديث ورفع مستوى المعيشة والتعامل بقوة وندية مع كافة التحديات التي تتزايد مع أي زيادة لدور مصر الإقليمي والدولي !!» .

وهكذا !

كاتب المقال يفتح لنا أبواب الجنة إذا لم نتهور ونعلن الغضب على المذبحة! ولكننا ظللنا صامتين ـ بلا غضب ـ لسنوات طويلة ، ولم تظهر في الأفق بشائر هذه الجنة! .

ولم يوجه كاتب المقال مطلبًا واحدًا إلى الحكومة ، لسبب بسيط : أنه يحدثنا باعتباره ، هو نفسه ، الحكومة! ولم يطلب شيئًا من المجتمع الدولي بطبيعة الحال ، لأنه لا ينتظر منه أن يفعل شيئًا ، وكفى الله المؤمنين شر القتال . كل ما يعنيه أن تخفت الأصوات الغاضبة حتى لا تزعج عمليات «الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي» (الجارية على قدم وساق فيما يبدو) وتعوق رفع مستوى المعيشة (ليس هناك رفعًا لمستوى المعيشة أروع من ذلك!) .

ونستنتج من ذلك كله : أن صحوة الضمير لدى أفراد من الإسرائيليين وذكر بعض الحقائق .. ليس سوى مؤامرة على الدور المصري الإقليمي والدولي !!

وكان ينبغي على هؤلاء أن يلتزموا الصمت حتى لا يعكروا صفو عملية السلام الجارية ، وأمن منطقة الخليج ، وحل المشكلة الفلسطينية والوفاق في كل من فلسطين ولبنان!!

***

إذن .. فقضية الأسرى ـ في نظر كاتب المقال ـ ليست سوى «معارك جانبية» (!) ولم يلحظ كاتب المقال في غضب المصريين سوى أنه نتاج «محاولات إثارة الرأي العام بمعلومات خاطئة ومغرضة ومدسوسة من بعض القوى الخارجية التي لا تريد لمصر وشعبها خيرًا !!» .

الكشف عن وقائع تهمنا ، لأنها تمس مواطنين مصريين ليس سوى «معلومات خاطئة ومغرضة ومدسوسة » (!!) و«محاولات مستميتة لجر مصر إلى مسارات أخرى غير تلك التي تفرضها مصالحنا الوطنية!» .

ولأول مرة ، نعلم أن إزاحة الستار عن تفاصيل مذبحة لجنود مصريين عزل .. تتعارض مع مصالحنا الوطنية » (!!) وتدفعنا إلى «مسارات أخرى» غير مرغوب فيها!

ولكن ، يا سيدي إذا كانت إسرائيل ، كما تقول ، تعرف مسبقًا أن المجتمع الدولي وكل المنظمات الدولية لن توجه لها أصابع اتهام بسهولة ويسر ، وإذا كانت الهيئات الدولية والمنظمات المنوط بها حماية حقوق الإنسان «في حالة الضعف والوهن» .. فلماذا لا تترك لنا الشيء الوحيد الذي نملكه .. وهو الغضب؟ ولماذا لا تقترح علينا سبيلاً لكي نتخطى هذا «الضعف والوهن» بدلاً من الاستسلام لهذه الحالة؟

ولماذا يكون رد الفعل المصري التلقائي الغاضب مجرد «انطلاق حناجر واشتعال صهيل ميكروفونات؟» .

المعنى الخطير الذي يظهر بوضوح من خلال سطور كاتب المقال هو أن إثارة

المشاكل مع إسرائيل حول قضية الأسرى سيجعل مصر في موقف من لا يستطيع ممارسة دوره حيث أن ممارسة هذا الدور (الذي لا يحقق أي نتائج حتى الآن) مرهونة بوجود علاقات طيبة مع الدولة الإسرائيلية .

ولا يجد كاتب المقال وسيلة لمواجهة هذا الغضب سوى «الضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أو فكره المريض أن مصر .. الشموخ والإرادة والكبرياء.. ، يمكن أن ينال منها أحد !!» .

هنا يرتدي كاتب المقال ثوب الجنرال الفاشي متجاهلاً أن الشموخ والإرادة والكبرياء .. لا مكان لها .. إذا تغاضينا عن تحريك موضوع الأسرى وشن حملة عالمية لفضح مرتكبي المذبحة ، والمطالبة بحقوق الشهداء ومحاكمة مجرمي الحرب .

ولكن المشكلة أن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية لم تحرك لدى الصحفي كاتب المقال سوى شهوة «الضرب بيد من حديد» على الغاضبين الذين يعتبرون أن هناك تراخيًا في الدفاع عن حقوق الشهداء ، وتجاسروا على إعلان غضبهم.

هل تذكرون حكاية الدبة التي قتلت صاحبها؟!

إن كاتب المقال .. من حيث تصور أنه يدافع عن الحكومة .. أساء أخطر إساءة إلى الحكومة ، وخاصة أنه ينصب نفسه محاميًا عنها بل يتبرع بتهديد من ينتقدونها بالضرب بيد من حديد ، وهو ما لم تفعله الحكومة نفسها .

تلك هي «عينة» من الصحفيين المتحدثين باسم الحكومة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين!

ولو كنت مكان الحكومة لأصدرت بيانًا عاجلاً .. أنفي فيه مسئوليتي عن هذا المقال، وخاصة أن هناك ـ من القراء ـ من يعتبر كاتب هذا المقال متحدثًا باسم الحكومة!

ماذا حدث للصحافة في مصر ؟

(فوجئ المصريون بما يشبه الحملة الإعلانية التي تستهدف تخديرهم وخداعهم وتضليلهم وتزوير الحقائق وترويج الأكاذيب لصالح متهم في جريمة قتل (على غير العادة الجارية وهي التسرع في توجيه الاتهامات في حالات أخرى) .

سقوط إعلامي
أين القدوة للأجيال الجديدة؟

حاول البعض إيهامنا بأن القبض على رجل أعمال متهم في جناية ، يؤدي إلى تهديد فرص الاستثمار في مصر ويعرض البورصة وأسهمها للانهيار ! وبدلاً من المطالبة بالكشف عن المصادر الحقيقية لثروات الفاسدين ... وجدنا أننا مطالبون بتجديد احترامنا لأشخاصهم ولمبادئهم الفردية ، وبأن نرعى القطاع الخاص ، ونقر ونعترف بأن إنتاج السلع والخدمات ليس مسؤولية الحكومات ، وإنما يجب أن يكون مسؤولية هذا القطاع الخاص الذي هو - في رأيهم - قاطرة التنمية .

وتطوع البعض بتفسير جرائم القتل على أنها مجرد جرائم « عاطفية » تعبر عن « جنون وقتي » ! وتسرع البعض الآخر بإعلان أن الرجل المتهم بتنفيذ جريمة قتل .. ما هو إلا شخص موتور لمجرد أنه اتهم رجل أعماله بتحريضه على ارتكاب الجريمة .

وقال كاتب هذا الكلام ، متقمصًا شخصية محامي الدفاع : إن القتيلة لها علاقات متعددة .. وهناك عشرات القضايا المتبادلة بينها وبين العديد من الأشخاص .

ونقلت بعض الصحف لقطات حزينة من داخل السجن حيث يحرص رجل الأعمال المتهم على الصيام وأداء صلاة الفجر والعشاء والتراويح ، وإنه أصيب (يا عيني !) بحالة نفسية سيئة واكتئاب شديد ! وطلب منا البعض أن نشعر بالامتنان نحو الحكومة لمجرد أنها تقدم متهما للمحاكمة !

أما ذروة السقط الإعلامي ، فقد ظهرت في برنامج قناة تليفزيونية خاصة تركت للمتهم إياه مساحة زمنية لكي يلقي علينا المواعظ الدينية والأخلاقية (!) حول كيفية ممارسة طاعة الله بحيث يبدو الرجل نموذجًا في النقاء والورع والتقوى ! قال المتهم أثناء البرنامج ، « مخاطبًا المذيع : حنصلي ركعتين وبعدين نكمل » . وينتقل مقدم البرنامج مع المتهم المتعبد الصالح إلى مسجد لأداء الصلاة ليشهر إيمانه !

هل تذكرون كيف سبق تخصيص حلقة كاملة من برنامج في تليفزيون الدولة للدفاع عن ممدوح إسماعيل ، صاحب عبّارة الموت .. وكيف خصص مساحة من برنامجين ، خلال يوم واحد ، للدفاع عن رجل أعمال متهم بالتحريض على ارتكاب جريمة قتل ؟

ترى ماذا يريد هؤلاء منا أن نفعل ؟ هل نوجه الشكر إلى الذين امتلكوا الثروات الحرام والسلطة والنفوذ وأنفقوا الملايين على العشيقات ، وربما توصلوا إلى إمكانية استخدام الجريمة - كأسلوب مفضل - في عالم « البيزنس » والصفقات - واحتكار النساء ؟

كان المتهم - إياه - يملأ الدنيا والشاشات والصحف وقاعات ومنابر الحزب الحاكم بصوره ومشاريعه .

والواضح أنه ما زال يمارس نشاطه !

***

احتفال بالجريمة !

ومع اقتناعي بعدم التدخل في أحكام القضاء أو المساس بقاعدة أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته .. إلا أنني شعرت بالدهشة من الطريقة التي استقبلت بها صحيفة حكومية أسبوعية حكم محكمة النقض في قضية تتعلق بجريمة قتل .. فقد أفردت صفحتين كاملتين للإعلان عن ترحيبها الحار بالحكم تحت عناوين ضخمة مع صورة مكبرة للمتهم . وأفاضت الصحيفة في نشر التصريحات عن « اللحظات التي لا تنسى » في سجن مزرعة طرة ، وامتزاج الفرحة بالدموع ، وصلاة المتهم ركعتي شكر ، وكيف أن هذا الحكم خطوة لإنقاذ الرجل من «التهمة الملفقة » ، فهو إنسان « مسالم يعرف الله ولا يتورع أبدًا عن الدفاع عن الحق » .. و« لم يكن يفكر في أي شيء سوى الاقتصاد والاستثمار » ورعاية « الغلابة » ! كما أنه « شخص محترم .. وطيب ويحب الخير » ، .. و « رجل له ثقله في الاقتصاد المصري » !

أما عن الإسكندرية فقد عمتها الفرحة ، وارتفعت فيها دعوات آلاف الفقراء ! وهناك من لم يشعر بالسعادة الحقيقية إلا عندما احتضنه المتهم داخل السجن بحب ورفعه من على الأرض كنوع من المزاح !

ومن رسالة المتهم إلى رئيس التحرير .. نعرف أن الرجل « يقتدي برسول الله » ، وكم توجه إلى الله سبحانه وتعالى « يدعوه ويناجيه » ، وكيف وفقه الله لكي يختم القرآن الكريم أكثر من مرة . ويؤكد المتهم في رسالته أن من وقفوا إلى جانبه ، مثل رئيس التحرير ، « أصبح لهم دين في عنقه سيحاول أن يرده لهم عندما يسترد حريته » ، وسيكون شكره عمليًا ، بالمزيد من « مشروعات الخير » المشتركة مع جريدته !

في السابق ، كانت الصحافة تقدم لقرائها ـ وخاصة من الشباب ـ نماذج أخرى يقتدي بها .. مثل أبطال الكفاح الوطني (عمر مكرم ـ عرابي ـ مصطفى كامل ـ عبد الله

النديم ـ سعد زغلول ـ محمد فريد) أو قادة التنوير من أمثال محمد عبده وطه حسين .

أما الآن ، فإن هناك من يقدم رجلاً متهمًا بالتحريض على ارتكاب جريمة قتل لسيدة ظل ينفق عليها الملايين من أجل المتعة قبل أن تهجره ، وقرر القضاء إعادة محاكمته من جديد .

ورئيس التحرير المذكور لا ينتظر نتيجة المحاكمة وإنما يفخر بأنه يعتز بشخص المتهم ويؤكد إيمانه ببراءته، ولم يقل لنا .. على أي أساس يستند إيمانه هذا ، وهو ليس من رجال التحقيق ، ولا يستطيع أن يدّعي أنه يرقى إلى مستوى براءة وكفاءة جهاز شرطة شهد له العالم.

ورئيس التحرير يتعامل مع المتهم باعتباره ما زال من أقطاب الحزب الحاكم .

ولم يتحمس رئيس التحرير ، بهذا القدر ويفرد مساحة بمناسبة ثورة ١٩١٩ أو ذكرى سعد زغلول أو مصطفى النحاس أو عبد المنعم رياض وغيرهم ممن كرسوا حياتهم من أجل مصر ونضالها الوطني حتى يساهم في إحياء الذاكرة الوطنية .

والعزاء لكل من صدرت ضدهم أحكام من المصريين على مر التاريخ ، في قضايا سياسية أمام محاكم عسكرية لا يوجد فيها نقض أو إبرام . والعزاء لكل من صدرت ضدهم أحكام في قضايا جنائية أو مخلة بالشرف ، ولم يكن لديهم من المال ما يكفي لتوكيل محام للدفاع عنهم .

.. أحيانا تؤدي المبالغة أو الإسراف في المغالاة إلى شعور لدى القارئ بالنفور والتقزز .

■ ■ ■

obeikandi.com

* كل أصوات العقلاء ضاعت وسط طبول مروجي الهستيريا الجماعية.

في الإعلام.. عناصر جاهلة وغوغائية .. ومدمرة

كشفت أزمة مباراة مصر والجزائر مساوئ وجود عناصر غوغائية غير مسؤولة تلعب دور التوجيه الإعلامي في كل من مصر والجزائر . وهذه العناصر تقدم برامج تحتوي على الكثير من السموم والأضاليل ، وتفتقر إلى أدنى مستويات الوعي السياسي ، وتروج لحمّى التعصب وتحرض على الكراهية ، وتحدوها رغبة رخيصة في تملق ومداهنة ومسايرة أكثر الاتجاهات تخلفًا وسوقية وابتذالاً. إنه الجهل المدمر الذي يعوق تقدم الأمم ويجهض مكاسبها .

ولوحظ ، طوال فترة الشحن والتهييج والإثارة للجماهير في كل من البلدين ، أن القضية لم تعد قضية مباراة رياضية ، وإنما اتسعت لتشمل التاريخ الحضاري والسياسي وكل ما يتعلق بالعادات والتقاليد والأخلاق في البلدين .

وكان التدني مروعًا.. والسقوط هائلاً في الجانب الجزائري فقد استخدم جزائريون مواقع على الإنترنت واليوتيوب والفيس بوك وبعض الصحف الصفراء ، مثل جريدتي «الشروق» وجريدة «الهدف» الجزائريتين لتوجيه شتائم وإهانات لشعب مصر وتاريخه . وعرضوا

obeikandl.com

مقاطع من أفلام أجنبية مشهورة تم دبلجتها بحيث تروي قصة تسيء إلى المنتخب الوطني المصري . ولم يعد الأمر يقتصر على التاريخ الرياضي ، وإنما المستوى السياسي أيضًا . وهناك من الجزائريين من وضعوا رؤوس ممثلات مصريات على أجسام لاعبي المنتخب المصري (!) وهناك من وضعوا الأغاني على موسيقى «الراب» ليتحدثوا عن بلادهم باعتبارها بلاد الشهداء وكعبة الثوار وأرض الأبرار وموطن شعب التضحية ، وذكروا أسماء منها طارق ابن زياد . أما عن مصر ، فهي - من وجهة نظر الدهماء من الجزائريين بلد «ليلى علوي» والفراعنة الملاعين وحسام حسن «الخنزير» والذي كان ينبغي «حشر رأسه في النار» .

ومصر - من وجهة نظر السوقة من الجزائريين هي «التي قضت عليها إسرائيل في ستة أيام وجعلتها حطامًا ، وانهزمت في ١٩٧٣ ، ولكن المصريين «موش فاهمين!!» ومصر باعت فلسطين لليهود! أما جميلة بوحريد فهي - بالنسبة لنا في مصر مجرد فيلم يعرض في دور السينما!! .. والمعز لدين الله الفاطمي هو الذي شيد مدينة القاهرة والمعز هو أبو الدعوة الشيعية (!).

وفي نفس الوقت يقول هؤلاء: أن القاهرة شيدها أجدادهم! وأن جمال عبد الناصر ذهب إليهم باكيًا بعد ١٩٦٧ (!) ومصر هي بلد الراقصة «دينا» أو بلد الراقصات عمومًا .. إلى جانب السخرية من عبارة «مصر أم الدنيا!!» .

كل هذا - وتلك مجرد عينة أو أمثلة محدودة - بسبب مباراة رياضية!!

إنها حرب على شبكة الإنترنت بين جزائريين ومصريين يجري خلالها تعطيل المواقع «المعادية» ومهاجمة مواقع البعض الآخر .. إلى جانب الحرب الإعلامية والجدل العنيف الذي تجاوز مجال الرياضة وسط ضجيج صاخب وتبادل اتهامات وشتائم ونشر شائعات لإشعال النار ، علاوة على مظاهر حدّة في السلوك في

الشوارع ووراء الميكروفونات .

ورغم تجاوزات من بعض المصريين في الرد على الشتائم الصادرة من جزائريين ، إلا أنه لابد من الإشارة إلى ردود ناضجة ومسئولة إلى حد كبير تطوع بتقديمها مصريون ، منهم الممثل الشاب أحمد مكي ، الذي رد بما يشبه الأغنية ، على موسيقى الراب أيضًا ، قال فيها :

«أرواحنا كانت فداكم . كنا معاكم وقت الثورة والنضال ، وهو موقف نابع من إيمان . كانت هناك قضية جمعت بيننا ، ولكنكم أضعتموها من زمان . ومحمد فوزي هو الذي لحن لكم نشيد بلادكم . وعد مني حاورتك يا عبيط بطّل تنطيط . دماغك محتاجه تظبيط ، وريني آخرك إيه . بتحرق علمي وتشتم أمي ، ولونك هو لوني . تأكد الأول إنك فايق مش مسطول .

«بنسأل نفسنا دايمًا ليه ما بنتقدمش؟ عشان تاريخنا بيتعاد ١٠٠ مرة وما بنتعلمش . قالها راجل حكيم زمان .. الاتحاد قوة ، وفي الفرقة ضعف . عارف ليه الغرب بقى عالم أول؟ عشان مشيوا على اللي جدودك قالوا عليه : الاتحاد قوة . الحفيد بيضيع جهد الجد . لو اتحدتم ما كانتش أمريكا دخلت العراق . أوعى تخلي العصبية والأنانية تشوه وطنك . الوطن العربي . وطني ووطنك . أنا لا أحترم كل من يساهم في زيادة المشكلة بين الشعبين عشان يزود شعبيته . أنا لا أحترمه» .

هذه الكلمات الناضجة والمسؤولة .. وجهها الفنان الشاب إلى كل فنان أو إعلامي سواء في مصر أو الجزائر . وكانت مجموعة من الصحفيين والرياضيين من مصر والجزائر قد نظمت حملة مضادة للحيلولة دون الوقيعة بين الشعبين والابتعاد عن الشحن .

... ولكن كل أصوات العقلاء ضاعت وسط طبول مروجي الهيستيريا الجماعية .

وظهر أن هناك جهازًا لإطلاق الشائعات الكاذبة لتغذية هذه الهيستيريا والادعاء بسقوط قتلى هنا أو هناك بغرض تصعيد الموقف .

والنتيجة هي تعرض مقر شركة أوراسكوم تيليكوم في الجزائر للنهب وتحطيم وسرقة أكثر من ٧٠ ألف هاتف محمول .. وخسائر مادية كبيرة . كما وقعت اعتداءات على بعض الشركات المصرية الأخرى ، مثل شركة مصر للطيران وشركة المقاولين العرب .. وفرض طوق أمني حول السفارة المصرية بالجزائر العاصمة بعد تعرضها لمحاولة اقتحام . وسمعنا أن الوضع في الجزائر لم يعد يسمح بتواجد المصريين هناك .

واعترف مصدر أمني جزائري بأن شائعة وصول سبع جثث لجزائريين من القاهرة «أطلقتها عناصر خفية تريد ضرب العلاقات الجزائرية المصرية» . وانتهت مباراة الخرطوم بمشاحنات وشتائم وإهانات موجهة من جزائريين إلى مشجعين مصريين كانوا في طريق العودة إلى القاهرة .

***

ماذا عن العناصر غير المسؤولة في مصر ؟

حرصوا على التحريض على إلقاء الطوب على سيارة المنتخب الجزائري في الطريق من المطار إلى الفندق ، وتفرغوا لشحن المصريين لخوض معركة «المصير» أو «الحياة أو الموت» مع الجزائريين أو ما أسموه «اقتحام الجزائر» ورفعوا شعار : «إما النصر الكامل على الجزائر أو الموت الزؤام!» . وأرادوا بعد انتهاء مباراة الخرطوم أن يستكملوا مسيرتهم الحربية بالإعلان عن سياسة جديدة من إحدى القنوات الفضائية لا مكان فيها للعرب والعروبة والقومية العربية (!) إلى جانب نداءات

مسمومة من نوع :

١- أن الإسرائيليين ما كانوا ليفعلوا معنا كما فعل الجزائريون!! (أعظم دعاية لإسرائيل لم تكن تحلم هي نفسها .. بها) .

٢- لو كنت في الخرطوم لقتلت بنفسي من تصل إليه يدي من هؤلاء الجزائريين!! (دعوة صريحة لسفك الدماء) .

٣- إن السودان وقف مع الجزائريين ضد المصريين (وهكذا فتح الجنرالات الإعلاميون جبهة حربية جديدة مع السودان!!) . وتصوروا : هذه السموم تذاع وتنطلق من قناة فضائية خاصة وبلسان مصريين!

كما لو كان هناك تنسيق منظم بين ما يرتكبه بعض الجزائريين (الذين لا يمثلون الشعب الجزائري) من خطايا وما يرتكبه إعلاميون في بلادنا (لا يمثلون الشعب المصري) من حماقات وما يقولونه من بلاهات!

وكما لو كان العالم العربي ينبغي أن يكون أسيرًا مكبلاً بأغلال التعصب الديني أو المذهبي أو العرقي .. أو الكروي أيضًا .

لقد أطلقوا عندنا الأغاني الوطنية التي لا تذاع إلا في أوقات الحروب! وخرجت نداءات داعية إلى الاحتشاد ، وأطلقت شعارات حماسية من نوع «طول عمر ولادك يا بلدنا رجالة» . كما لو كانت خسارة مباراة تعني أنهم ليسوا «رجالة!!» . ووسط ذلك كله.. كانت تحركات قيادات في الحزب الحاكم - في كل من مصر والجزائر - واضحة .. وهادفة :

كل شيء من شأنه إبعاد الجماهير عن قضاياها الكبرى والحيوية والمعيشية وعن الإصلاح السياسي .. مطلوب .. والأفضل أن توجه الجماهير مشاعر الغضب والرفض لشعب آخر بدلاً من أن توجهها للحكام في أي من البلدين!

وعلى سبيل التذكير فقط .. فقد بدأ تصعيد التشجيع لحمى كرة القدم بعد إلغاء الأحزاب السياسية في مصر ، وكذلك في الجزائر ، لكي تحل التعددية الكروية (النوادي) محل المنابر والتيارات والأحزاب السياسية .. والتعددية الدينية!!

والسمة الرئيسية للنشاط الرياضي هي التسامح واتساع الصدر لتقبل نتائج هذه المباراة أو تلك . ثم إن نتائج المباريات ليست نهاية المطاف . كما أن الانتصار في مباراة والهزيمة في أخرى لا تعني أن النصر أبدى والهزيمة سرمدية . فقد يخرج الفريق «المنتصر» من أول مباراة في نهائيات كأس العالم !

ولكننا نشهد حالة من التعصب الذميم والقبيح لدى جمهور في الجزائر ، وحالة من التعصب الذميم والقبيح في مصر ، وهناك من يحاول النفخ فيها الآن تحت شعار أن ذلك من مقتضيات «حب مصر!» .

وأصارح القارئ بأنني ، أحيانًا .. لا أستطيع أن أتجاوب مع أحاديث ودموع «حب مصر» التي تتكرر كثيرًا هذه الأيام . والسبب واضح هو شعوري بأنها غير صادقة ، ولا تعبر عن مشاعر حقيقية .

ذلك أن حب مصر كان يقتضي أن يتظاهر من يحبون مصر دفاعًا عن الوحدة الوطنية التي يجري باستمرار توجيه الطعنات إليها هذه الأيام ، وأن يتظاهروا ضد إهدار كرامة أي مصري يضع قدمه داخل أحد أقسام الشرطة ، وضد ممارسات التعذيب التي تفضي إلى الموت في أحيان كثيرة .

وحب مصر كان يقتضي التظاهر تضامنًا مع أسرة المواطن محمد عفيفي ، البحار المصري الذي قتله جنود سفينة أمريكية عابرة لقناة السويس ، دون أن تتوقف سفينتهم لحين انتهاء تحقيقات الجهات الأمنية . ولم يتظاهر سوى زملاء القتيل بمراكبهم الصغيرة حول السفينة الأمريكية قبيل مغادرتها المياه المصرية . وتجاهلت

الحكومة المطالبة بالقبض على من أطلقوا النار ، ورفضت مطالب عدد من أعضاء مجلس الشعب بتشكيل لجنة تقصي حقائق .

وكان حب مصر يفرض علينا جميعًا أن نتظاهر كل يوم ، بعد أن تكشفت الحقائق والوقائع حول جريمة قتل الأسرى المصريين على يد جنود إسرائيل خلال حربين متتاليين ، وأن نتظاهر احتجاجًا على قيام جنود إسرائيليين بقتل جنود مصريين في منطقة الحدود في رفح .

فالوطنية وحب مصر لا يقتصران على حدث واحد بعينه يتعلق بمباريات رياضية ، وإنما يشكلان جزءًا لا يتجزأ من التكوين المصري الذي يضرب بجذور عميقة في الروح المصرية ، ويتصديان لكل ما يمس الوطن والمواطن من اعتداءات أو إهانات أو تجاوزات .

والوطنية وحب مصر ليسا مجرد مشاعر عابرة تثور أحيانًا وتتوارى وتنطفئ في أحيان أخرى .

والوطنية وحب مصر لا يعنيان إلقاء تبعة جرائم يرتكبها أفراد متهوسون أو منحرفون أو مأجورون على مجتمع بأكمله .

والوطنية لا تعني نفي العقلانية وإلغاء ثقافة المعرفة وحقوق الإنسان والديمقراطية ، وإنما تعني التمسك بكل ما يحتويه تراث الأمة من قيم أخلاقية وإنسانية وحضارية .

ولا يصح أن يكون تحديد معايير الوطنية حكرًا على عناصر لا يتجاوز معدل وعيها ونموها الفكري والسياسي .. هؤلاء الذين قيل: أنهم ارتكبوا الاعتداءات ضدنا في شوارع الخرطوم .

***

منذ سبعة عشر عامًا كتب الزميل الصحفي الراحل «حامد سليمان» في كتابه «هذا الزمان : غربة المصري ومهانته» يقول :

« تحولت مأساة المصري المعاصر في الخارج إلى ظاهرة دراماتيكية تعاظمت من خلال تصارع عدة عوامل تاريخية وسيكولوجية وسياسية واقتصادية ، واجتماعية . وبعض هذه العوامل يطفو على السطح ومفهوم للجميع ، لأنه متعلق بسكوت الحكومات وإهمال السفارات ، وبعضه يغوص في اللاشعور المصري .. لا تكاد تقف على خباياه سوى قلة نادرة ، لأنها تتعلق ببصمات الأزمنة الرديئة في وجدان الإنسان المصري خلال قرون الاستعباد الغابرة وسنوات القهر المعاصرة ، مما دفع المصري للخروج - لأول مرة - من بلده «مكسورًا» سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو النفسي حيث يتحول في الغربة إلى ضحية سهلة لجحافل الاستغلال والاستهانة ، وخاصة في الدول الشقيقة» .

ويقول الكاتب : هكذا تحول المصري إلى مواطن يصعب عليه أن يعيش «غريبًا في بلده» .. إلى «مهاجر» يتحمل ما لا يطيق من المهانة من الأشقاء العرب . والمفارقة التي تثير الألم .. أن تكون أقصى صور معاناة المصري في الخارج عندما تكون هجرته إلى بلد عربي !

أين كان هؤلاء الذين يتحدثون اليوم عن كرامة مصر والمصريين طوال سنوات المهانة التي يتحدث عنها الكاتب وينشر تفاصيل مروعة حولها ؟

منذ قرن ونحن نتحدث عن نهضة هذه الأمة وحريتها وكرامتها وتقدمها ووحدتها .. فما الذي تحقق من كل هذا؟

بدلاً من البحث عن مخرج حقيقي وتقديم الحلول .. نجد أننا عدنا إلى زمن الجاهلية حيث كانت قبيلة «عبس» بكامل أبهتها تصفق لداحس (وهو فرس

زعيمها قيس بن زهير) بينما عمائم شيوخ ذبيان يصفقون للغبراء (فرس حذيفة بن بدر) . وعلى مدى أربعين عامًا لم تتوقف الحرب التي سميت حرب داحس والغبراء!.

***

كل عاقل مصري وجزائري وبقية الأشقاء العرب مدعوون إلى التدخل وقيادة الرأي العام ، بدلاً من ترك الساحة لغير المهنيين الذين يضللون الناس ولا يكفون عن الصراخ .

ومن هنا أهمية بيان أساتذة الجامعات الجزائريين الذين يؤكدون على التلاحم مع الشعب المصري ويرفضون نشر ثقافتي الكراهية والحقد ، ويطالبون بعدم الانسياق وراء بعض الفضائيات وبمحاسبة المسؤولين عن التخريب والاعتداء .

ومن هنا أيضًا أهمية البيان المشترك للمثقفين المصريين والجزائريين الذي يعلن أن فئات متعصبة لا تمثل أبدًا جمهور وشعبي البلدين هي التي ارتكبت التجاوزات والاعتداءات .

ويتضمن البيان اعتذار الجزائريين «لأم الدنيا وشقيقة العرب الأولى .. مصر» واعتذار المصريين لبلد المليون ونصف المليون شهيد (وجه البعض لدينا إهانة لهذا التعبير) .

وأشار البيان إلى أن الصحف الجزائرية الخاصة ضحت بكل مبادئ المهنة وشرف الكلمة من أجل الكسب المادي والتربح على حساب الحقيقة وعلى حساب العلاقات بين البلدين ، .. كما يندد بالإعلام الخاص اللامسؤول في البلدين وخاصة الفضائيات المصرية الخاصة .

ويدعو البيان إلى الحفاظ على حقوق كل من لحقت بهم أضرار مادية أو شخصية

عن طريق القضاء حتى تأخذ العدالة مجراها .

إنها مبادرة شعبية لا تنتظر دعمًا رسميًا ، ودعوة إلى استمرار الشراكة الاقتصادية والإنتاجية بين البلدين والمحافظة على المصالح الوطنية والقومية العليا للدولتين ، وإلى .. التعالي على الجراح والإساءات التي فعلها بعض السفهاء والاستماع إلى صوت العقل والضمير والترفع عن الصغائر .

وقد وقع على هذا البيان أكثر من عشرين جزائريًا من أساتذة الجامعات والمديرين وغيرهم، ووقع عليه عدد ضخم من المثقفين والسفراء السابقين المصريين .. ومن دول عربية أخرى .

والبيان يصلح كبداية .. لتضميد الجراح ، وخاصة إذا شهدنا المزيد من المبادرات الشعبية .

■ ■ ■

obeikandl.com

الحاجة إلى التدريب

ما يجري داخل المؤسسات الصحفية يحتاج إلى وقفة . بعض رؤساء الصحف يقررون إحالة الكتاب الصحفيين إلى التقاعد بتهمة تقدمهم في السن ولم يعد مرغوبا فيهم ، كما لو كانت حرفة الكتابة ترتبط بسن معينة.. ورغم أن هؤلاء الكتاب لا يشغلون مناصب إدارية .

وبعض الرؤساء في المؤسسات الصحفية يحرم صحفيين أنفقوا عمرهم على المهنة من العلاج الطبي في الوقت الذي بدأ فيه احتياجهم الفعلي إلى الرعاية الطبية التي لم يكونوا في حاجة إليها طوال سنوات الشباب .

وفي بلاد العالم يجرى تكريم هؤلاء الذين تقدموا في السن وهم يكرسون حياتهم لخدمة مؤسساتهم ومهنتهم ووطنهم .. إلا عندنا حيث يتعرضون للامتهان وتمنعهم كرامتهم من الشكوى .

وكلنا نذكر القول الشائع : عندما تشيخ خيول الحكومة يضربونها بالرصاص للتخلص منها !!

obeikandi.com

ولا يقتصر الأمر على ذلك .. فهؤلاء الرؤساء يستعينون بشبان غير مدربين يقعون في أخطاء فادحة .

ولا يقع اللوم على هؤلاء الشبان ، لأنهم لم يجدوا فرصة للتدريب أو التوجيه ، إنما يجرى تشغيلهم كـ « فواعلية » .

وكاتب هذه السطور من ضحايا هؤلاء الشبان .

أجرى أحدهم حديثًا معي استغرق وقتًا طويلاً . وشعرت بالصدمة عندما قرأت الحديث بعد نشره .

لقد أضيفت عبارات لم ترد على لساني . وحُذفت منه الكثير من العبارات التي وردت على لساني !

كنت أحدثه عن مصر التي لم تعرف التفرقة بين مواطن وآخر على أساس الدين ، وكيف كان الناخب المصري يدلى بصوته للمرشح على أساس سياسي ، وليس على أساس طائفي .. وضربت مثلاً بالزعيم الوطني مكرم عبيد في دائرة قنا الانتخابية .

وفوجئت بالصحفي يضيف إلى ما ذكرته جملة من عندياته يقول فيها : إن نظام الانتخابات في ذلك الوقت كان .. بالقائمة !!

هكذا قدمني الزميل الشاب باعتباري أجهل تمامًا نظام الانتخاب قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهو النظام الفردي . ولم تعرف مصر الانتخاب بالقائمة في أي يوم من الأيام قبل نهايات القرن الماضي .

الشاب متحمس ، ويحاول أن يثبت أقدامه في المهنة دون أن يجد من يوجهه في مسيرته ويساعده على إتقان الأداء وكنت على استعداد لكي أغفر له أخطاءه الأخرى .. إلا هذا الخطأ الكارثي .

obeikandl.com

* ها هو الإنسان العصري يجلس أمام الكومبيوتر ويقرأ جريدته المفضلة.. ويمكنه أن يجمع جريدة خاصة به من الموضوعات التي تهمه

الصحافة الورقية.. والإلكترونية

قد لا يلتفت الكثيرون إلى حدث هام وقع في عام ٢٠٠٨، ولم يجد ما يستحق من متابعة وتعليق .

ففي ٢٨ نوفمبر من ذلك العام، أعلنت الصحيفة الأمريكية الكبرى «كريستيان ساينس مونيتور» أنها ستتوقف عن الصدور كجريدة ورقية وتكتفي بالصدور كصحيفة إلكترونية فقط ابتداء من شهر إبريل ٢٠٠٩ .

وهكذا .. بعد مائة عام .. تتخذ الصحيفة التي تأسست في عام ١٩٠٨ قرارها بالتخلي عن الورق .

ويتوقع رئيس تحرير الصحيفة «جون يما» أن كل الصحف سيكون عليها أن تفعل ما فعلته صحيفته خلال السنوات الخمس القادمة؟ ويقول : أن الانتقال إلى النشر الإلكتروني يسمح للصحيفة بالاستمرار وبإبقاء مكاتبها الثمانية في العالم مفتوحة .

كانت «كريستيان ساينس مونيتور» توزع ٢٢٠ ألف نسخة عام ١٩٧٠، لكن توزيعها هبط في عام ٢٠٠٨ إلى ٥٣ ألف نسخة فقط، وتدهورت عائدات إعلاناتها في الطبعة الورقية بينما ارتفعت في موقعها الإلكتروني .

هل هي بداية النهاية للصحف الورقية؟

صحف الحبر والورق التي صمدت بعد ظهور الراديو ، كما صمدت بعد ظهور التليفزيون ، وأعلنت التحدي في مواجهة كل التوقعات باندثارها .. وتجاوزت كل الصعاب والمنافسات . هل حان وقت اختفائها؟

تتساءل الكاتبة والباحثة اللبنانية «سحر بعاصيري» عن مستقبل الصحف التي تربعت طويلاً على عرش الإعلام واستمرت - كسلطة رابعة - تهز أنظمة الحكم وتقيم السياسات وتكشف الفضائح والتجاوزات وتحاسب المقصرين ، وعما إذا كان عشاق رائحة الحبر والورق سيجدون أنفسهم محرومين منها؟ ثم.. ماذا عن القراء؟ هؤلاء الأوفياء الذين صنعوا على مر السنين طقوسًا خاصة لقراءة الجريدة .. ومنهم الذي لا يبدأ نهاره إلا وهي في يديه ، وهؤلاء الذين لا يعرفون كيف يشربون قهوة الصباح إلا في صحبتها ، وهذا يشتريها قبل أن يتوجه إلى عمله ، وذلك يحملها معه إلى المقهى ليدور النقاش مع رفاقه حول ما تحمله من أخبار ومقالات .

والإنترنت هي السبب في طرح الأسئلة وفي قرار صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» .

فقد فتحت أفاقًا غير مسبوقة ، وبدأت تطغى على كل شيء وأصبح الخبر متاحًا ومتوافرًا في أي لحظة لمن يملك جهاز كومبيوتر واتصال بشبكة الإنترنت .. ثم جاءت كل هذه الأجهزة الصغيرة المحمولة ، من تليفونات وأجهزة قراءة إلكترونية لتضع الخبر ، بسهولة ويسر وبطريقة عملية - في كف اليد .

وها هو الإنسان المصري يجلس الآن أمام الكمبيوتر ، ويقرأ جريدته المفضلة وينتقل إلى صحف أخرى للمقارنة ، بل يمكنه أن يجمع جريدة خاصة به من الموضوعات التي تهمه في صحف مختلفة ويقرأها أو يطبعها أو .. حتى يحملها أو

يشحنها على تليفونه المحمول وينقلها إلى جيبه ويذهب بها أينما كان!

فماذا تفعل الصحف، التي تعمل ٢٤ ساعة لتصدر طبعتها الورقية وتنتظر القارئ ليشتريها في مواجهة منافسة «متحركة» تلحق بالقارئ حيثما ذهب وفي أي مكان؟ بل ماذا تفعل الصحف إذا انتقل سوق الإعلانات - شريان حياتها - إلى المواقع الإلكترونية؟ ولا ننسى مشكلة ارتفاع سعر الورق ومستلزمات الطباعة، مما يرهق صناعة الصحافة.

والإنترنت توفر تكاليف الحبر والورق والتوزيع ولهذا وقعت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية عقدًا مع شركة «مايكروسوفت» لتوزيع الجريدة إلكترونيًا، مما يكفل توصيل النسخة مباشرة إلى شاشة المشترك، مثلما يوصلها الموزع البشري مباشرة إلى البيت.

وتستطيع الصحف الورقية أن تطيل عمرها، لبعض الوقت، إذا جعلت من دمج التكنولوجيا الحديثة، في غرف الأخبار، جزءًا لا يتجزأ من نظام العمل، بمعنى أن يكون موقع الصحيفة على الإنترنت في حالة تأهب لإضافة آخر الأخبار وتحديثها طول الوقت.. وربطها بمعلومات وتحليلات تلقي ضوءًا على خلفيات هذه الأخبار، وبمقالات تتصل بالموضوع، وترافقها صور وأشرطة فيديو، كما تفتح الصحيفة الرأي، وتتيح الفرصة لمناقشة مستخدمي الإنترنت مع الكتاب حول القضايا الهامة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى تحويل المواقع الإلكترونية للصحف إلى مؤسسات إعلامية تتكامل فيها هذه الصحف مع طباعتها الإلكترونية، وتمهد للانتقال السلس من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني عندما يحين الوقت.

هل هذا يعني موت الصحف؟

على الإطلاق وإنني أتفق مع الباحثة «سحر بعاصيري» في أن علينا أن نميز بين الورق وبين الصحيفة. ذلك أن ما يتلاشى هو الورق، ولكن الصحيفة مستمرة كل ما في الأمر أنها تتغير.. وتحتفظ بموقعها ودورها في شكل جديد.

obeikandl.com

لا يمكن الحديث عن ثقافتنا العربية المعاصرة دون الرجوع الى مجلة «الكاتب المصري».

صحافة العمالقة

صدر العدد الأول من مجلة «الكاتب المصري» في أكتوبر عام ١٩٤٥ ، وصدر العدد الأخير في مايو ١٩٤٨ أعداد المجلة الاثنين والثلاثين ، وما تحتويه من أعمال نقدية وأدبية تمثل طفرة في تاريخنا الثقافي خرجت بها من دائرة الماضي والعزلة ، وساهمت بها في تهيئة التربة لكل التجديدات والتطلعات .

كانت مجلة شهرية للآداب والفنون والعلوم والفكر والتاريخ والسياسة الدولية والتعليم والاجتماع والجغرافيا والتراث والعمارة والقانون والقضايا العامة ، ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين .

وحسنًا فعل الكاتب نبيل فرج بإصداره كتاب «مجلة الكاتب المصري» الذي يستعرض فيه مواد الأعداد التي صدرت منها ويقدم فيه تقييمًا عميقًا لدورها ورسالتها ، باعتبارها جزء من ثروتنا القومية وعلامة فارقة في الثقافة المصرية ، نظرًا للمستوى الرفيع الذي بلغته ، ولقوة الدفع الثقافي الذي حققته .. وحسنًا فعلت الهيئة المصرية العامة للكتاب بنشرها لهذا العمل الهام .

جاء في افتتاحية العدد الأول للكاتب المصري (ويبدو أن كاتبها هو طه حسين) :

«المفكر الحق أو الأديب الحق لا يستطيع أن يكون حالمًا من أولئك الحالمين الذين يصدمون الواقع ، ويتهربون ـ في فترة النضال الأكبر التي نعيش فيها ـ من واجب الدفاع عن الثقافة المهددة والحرية المثخنة بالجراح» .

يقول نبيل فرج ـ بحق ـ أن الكاتب المصري كانت تختار من التراث العربي ومن ثقافة العصر أفضل ما فيه ، في ضوء قضايا وحاجات الوطن .

وينقل عن الكاتب اللبناني الكبير كريم مروة قوله : أنه لا يمكن الحديث عن ثقافتنا العربية المعاصرة دون الرجوع إلى مجلة «الكاتب المصري» .

كتب في المجلة عدد من كبار المفكرين والفلاسفة والأدباء العالميين من أمثال «جان بول سارتر» ، والكاتب الفرنسي ـ الجزائري الأصل ـ «البير كامي» .

قدمت المجلة قصة «زديج» أو «القضاء» لعملاق فرنسا .. فولتير من ترجمة وتقديم طه حسين ، وكتابًا عن جريمة ضرب المدينة اليابانية «هيروشيما» بقنبلة ذرية أمريكية ، وملفًا عن شاعر العربية الأكبر «المتنبي» ، والشاعر الأسباني «سرفانتيز» .

واختارت المجلة شعار الكاتب المصري القديم المصنوع من الحجر الجيري الملون بالأحمر الداكن لكي تضعه على غلافها ، تعبيرًا عن عراقة الأمة المصرية ، أصل الحضارة الإنسانية وأم الحضارات الأوروبية القديمة وحضارة العصر الوسيط وعصر النهضة . ويذكرنا نبيل فرج بأن الهيئة المصرية العامة للكتاب أعادت طبع المجموعة الكاملة لمجلة «الكاتب المصري» في ثمانية مجلدات.. حفظًا لذاكرة الأمة ولرصيدها الفكري الثمين .

ترأس طه حسين تحرير المجلة في وقت إقصائه من جميع مناصبه ومصادرة كتابه «المعذبون في الأرض» .. فكانت المجلة سلاحه في المقاومة وجعل منها منبرًا

للمعرفة العلمية والمعلومات المضيئة وللاحتكام إلى العقل والدعوة إلى الحرية والعدالة وحقوق الإنسان .

كانت مجلة طموحة ، وصاحبة رسالة وخطة وبرنامج .

«جاء في افتتاحية العدد الأول أن المجلة ستأخذ نفسها بقانونين لن تحيد عنهما مهما تكن الظروف ، أحدهما : الشدة على نفسه وعلى كتابها وقرائها فيما تنشر وما تنقل من الفصول ، فلن تقدم إلى قرائها إلا هذا الأدب الذي ينفق صاحبه في إنتاجه الجهد العنيف والوقت الطويل ، وينفق قارئه في إشاعته من الوقت والجهد مثل ما ينفق منتجه .. فلن يعرِّض الأدب العربي لخطر التفاهة والابتذال شيء مثل هذا الإنتاج السريع وهذا الاستهلاك السريع ، فالأدب فن يحتاج كغيره من الفنون الرفيعة إلى أناة الكاتب وتأنقه واحتفاله ، وإلى تمهل القارئ وتأمله وتدبره . ولابد من أن تأخذ الأجيال العربية المعاصرة نفسها بالأناة في الإنتاج الفني وفي الاستهلاك الفني أيضًا . والقانون الثاني هو الحرية الواسعة الكاملة السمحة فيما تنشر وفيما تختار من آثار القدماء والمحدثين ، ومن آثار الشرقيين والغربيين ، لا تنظر في ذلك إلا إلى الفن الخالص وإلى قيم الثقافة العليا وما يحقق التعارف والتواصل بين الذين يمثلون هذه الثقافة من رجال الأدب والعلم والفن .. » .

ما زال هذا البرنامج يصلح لأيامنا هذه .

وما زال هذا المنبر الرائد يخاطب الجيل الحالي .

وما زال شبابنا في حاجة ملحة إلى التعلم من عمالقة الأجيال السابقة .

ومن هنا قيمة كتاب مجلة «الكاتب المصري» . وهي قيمة باقية ، مثلها مثل أعداد المجلة نفسها .

■ ■ ■

* أقوى سلاح للدفاع عن حرية الصحافة.

وحدة الجماعة الصحفية .. ضرورة عاجلة

في شهر مايو عام ٢٠٠٦ رحبت نقابة الصحفيين المصريين بالنداء الذي أطلقه أديبنا العالمي نجيب محفوظ قبل رحيله، بمناسبة اليوم العالمي للصحافة، والذي طالب فيه بالإفراج عن جميع الصحفيين والمعتقلين في العالم العربي في قضايا الرأي، وكذلك بإسقاط جميع الأحكام الصادرة ضد الصحفيين في قضايا النشر . وأصدرت النقابة بيانًا تؤكد فيه على أن في تفعيل مواثيق الشرف الصحفي والالتزام بالتقاليد المهنية ما يدرأ عن الصحافة شبهة ممارسة حرية غير مسئولة وما يحول دون الانزلاق للتهجم والشتائم .

وفي ١٩ يوليو عام ٢٠٠٦ أصدر مجلس نقابة الصحفيين بيانًا يؤكد فيه أن وحدة الجماعة الصحفية هي أقوى سلاح للدفاع عن حرية الصحافة، ويدعو الزملاء إلى التمسك بلغة الخطاب اللائق بين الصحف والصحفيين ترسيخًا لمبدأ الحوار الديمقراطي الراقي، ولإعلاء مبادئ ميثاق الشرف الصحفي تأكيدًا على أن حرية الصحافة ليست نقيضًا لمسؤوليتها تجاه المجتمع .

وأوضح البيان أن المجلس قرر عقد أول اجتماع للجنة تفعيل ميثاق الشرف

الصحفي لدراسة إنشاء جهاز لمتابعة اتساق ما ينشر بالصحف مع لائحة آداب المهنة وإحالة المخالفات إلى اللجنة لاتخاذ ما تراه وفقًا لقانون النقابة . وأكد المجلس تصميمه على تطبيق ميثاق الشرف الصحفي «بكل حزم» في مواجهة أي انتهاكات بنفس القدر الذي يحرص فيه على صون كرامة الصحفي والدفاع عن حرية الصحافة .

وفي تقديري أن هذه البيانات والمواقف للنقابة هي كل ما تطالب الجماعة الصحفية بتطبيقه. كما أن هذه البيانات والمواقف هي ما يمكن أن يجمع عليه الصحفيون ويكون الأساس لوحدة الجماعة الصحفية ، حيث أن هذه الوحدة هي «أقوى سلاح للدفاع عن حرية الصحافة » وإلغاء العقوبات السالبة لحرية النشر .

أما الانقسامات في الوسط الصحفي ، فإنها تهدد بإهدار كل المكاسب التي حققها الصحفيون خلال السنوات الماضية ، وأعتقد أن تشكيل لجنة دائمة من شيوخ الصحفيين وحكمائهم يمثل فيها عدد من رجال القانون وأحد أعضاء المجلس الأعلى للصحافة ، وتجتمع مرة واحدة أسبوعيًا على الأقل ، وتكون مفوضة من مجلس النقابة بصلاحيات محددة .. يمكن أن يكون خطوة عملية في الاتجاه الصحيح لمناقشة أية تجاوزات وردعها طبقً لقانون النقابة من أجل حماية المهنة وتحقيق المسؤولية الاجتماعية للصحافة ، ولكي يحاسب الصحفيون أنفسهم بدلاً من أن تتدخل جهات أخرى لمحاسبتهم .

■ ■ ■